ورقة علمية

دورُ مُمَثِّل الأسرى في الحد من الإجراءات التعسفية لإدارة مصلحة السجون تجاه الأسرى في سُجونِ الاحتِلالِ

معمّر فتحي أبو الشيخ

تموز/ يوليو 2023

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

جميع إصدارات ومنشورات المركز تعبّر عن رأي كتابها
ولا تعبّر بالضرورة عن رأي مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 1

ملخص 2

المقدمة 3

أولاً: في إطار الدراسة 5

ثانياً: التنظيم في الأسر 10

ثالثاً: التشكيلات التنظيمية للحركة الأسيرة داخل السجون الإسرائيلية 15

رابعاً: هيكلية حماس داخل السجون 18

خامساً: وظائف عمل أركان الهيكلية التنظيمية لأسرى حركة حماس 19

سادساً: ممثل الأسرى 20

سابعاً: عوامل القوة لدى الأسرى وممثلهم 31

ثامناً: أدوات الأسرى النضالية في الحدِّ من إجراءات إدارة السجون التعسفية 36

النتائج 44

التوصيات 45

Abstract 47

دورُ مُمَثِّل الأسرى في الحد من الإجراءات التعسفية لإدارة مصلحة السجون تجاه الأسرى في سُجونِ الاحتِلالِ

معمّر فتحي أبو الشيخ[1]

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور ممثل الأسرى في الحد من الإجراءات التعسفية لإدارة مصلحة السجون تجاه الأسرى. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته موضوع الدراسة، وتمّ استخدام المقابلة كأداة رئيسية للدراسة.

وتوصّلت الدراسة في نتائجها إلى أنّ سلاح الأسرى لمواجهة الظلم هو إرادتهم الصلبة وإيمانهم بعدالة قضيتهم، وأن من أهم أسباب الانتصار في معركتهم ضدّ السجان هي وحدة الحركة الأسيرة وتشكيل لجنة الطوارئ العليا من كافة الفصائل والقوة الوطنية والإسلامية في داخل السجون، وإعاقة عمل إدارة السجون وتشتيت تفكيرها واستنزاف قواها، واستخدام الأسرى الفلسطينيون الوسائل النضالية بشكل متدرج في التعامل مع السجان، من خلال استخدام الخطوات الناعمة ومن ثم الخطوات التكتيكية وأخيراً الاستراتيجية والعنيفة. كما توصّلت الدراسة إلى أهمية دور ممثل الأسرى في التواصل مع إدارة السجن والحد من إجراءاتها التعسفية مع الأسرى.

[1] الأسير معمر فتحي شريف أبو الشيخ (44 عاماً) من مدينة طولكرم، حكم عليه بالسجن المؤبد مدى الحياة ومعتقل منذ سنة 2002، وأمضى 22 عاماً في سجون الاحتلال.

وأوصت الدراسة بالعمل على دعم وسائل الأسرى النضالية، من خلال سياسات عدة تتضمن تأسيس حملات ضغط ومناصرة محلية ودولية، وتوثيق الانتهاكات، وتشكيل لجان قانونية تقوم باتخاذ الإجراءات اللازمة لعرض التقارير المتعلقة بالأسرى الفلسطينيين على الأجهزة الدولية المعنية. كما أوصت بتوحيد الموقف الفلسطيني خارج السجون وداخله وضرورة التحام الشعب الفلسطيني في كل مستوياته مع الأسرى، وبضرورة تعزيز دور ممثل الأسرى للنجاح في دوره والوصول إلى هدفه في التخفيف عن الأسرى.

المقدمة:

تعد تجربة الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، تجربةً متميزةً وفريدةً من نوعها، لا نجد لها مثيلاً في التاريخ، حتى أصبحت مثالاً ونموذجاً يحتذى لدى أحرار العالم. هذه التجربة التي بناها هؤلاء الأسرى بتضحياتهم ودمائهم وحريتهم ومعاناتهم، هي التي أجبرت سلطات الاحتلال على تقديم بعض الامتيازات للأسرى الفلسطينيين، حتى يتمكنوا من العيش في سجون الاحتلال بشيءٍ من الكرامة، فقد انتزعوا هذه الامتيازات انتزاعاً بالتضحيات، وليس بسبب التزام الاحتلال بالاتفاقيات الدولية، فقد ضَرَبت سلطات الاحتلال بهذه الاتفاقيات عرض الحائط، وتعاملت مع الأسرى الفلسطينيين على أنهم مجرَّد مخربين و"إرهابيين" خارجين عن القانون، وليسوا أسرى حرب يدافعون عن حقوقهم وأرضهم ووطنهم ضدّ احتلال بغيض.[2]

[2] ناصر عبد الجواد، **الأسرى حقوقهم – واجباتهم – أحكامهم** (عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2012).

اتَّضح للحركة الوطنية الأسيرة منذ نشأتها أن هنالك عملية تصفية لقدراتهم النضالية والنفسية والبدنية من قبل إدارة مصلحة السجون، لذلك تحمَّل الأسرى الكثير من العذابات في السجون وسقط منهم عشرات الشهداء من أجل بلورة أشكال وهياكل تنظيمية، وسعوا للحفاظ على الذات التنظيمية وتطويرها، وكانوا على يقين أن تماسكهم وتنظيمهم يمنحهم قوة في مواجهة إدارة السجون.[3]

بدأ تشكيل التنظيمات داخل السجون في بداية السبعينيات متزامناً مع تشكيل الفصائل الفلسطينية خارج السجون، فعمل الأسرى من هذه الفصائل على تشكيل هيئات تكون امتداداً للفصائل الأم في الخارج، إلى أن أصبحت هذه التنظيمات العمود الفقري للحركة الأسيرة في السجون. ومع زيادة أعداد الأسرى تبلورت هذه التنظيمات ووضعت لوائح داخلية تتناسب مع ظروف الحياة داخل السجن، حتى تمكَّن الأسرى من فرض هذه التنظيمات على الإدارة والاعتراف بممثلين عنهم أمام الإدارة.[4]

كان يقود السجون قبل تشكيل هذه التنظيمات الأسرى الأعلى من حيث الرتب العسكرية وأحياناً الأقوى، فالصراع مع الإدارة كان في ذلك الوقت جسدياً، وكانت إدارة السجون تتعامل مع كل أسير بشكل منفرد. ومع الوقت، طورت التنظيمات لوائح داخلية وهياكل تنظيمية، حيث أصبحت تختار ممثليها عن طريق الانتخاب، ففي داخل القسم الواحد يكون ممثل لكل تنظيم، ومن بين الممثلين يتم انتخاب ممثل القسم ليكون جزءاً من الهيئات التنظيمية العليا الممثلة لكل السجن لدى إدارة السجون، هذه التنظيمات كان لها

---

[3] وليد مزهر، "الاعتقال في السياسة الإسرائيلية في منظور القوانين،" من المؤتمر العلمي "الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية"، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2013.

[4] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير أشرف أبو الرب، 2022/7/1.

أهميتها الكبرى في تشكيل وعي الحركة الأسيرة، ومواجهة مخططات الاحتلال، واستطاعت نزع استحقاقات بَنَت عليها الكثير، حيث استطاع ممثل الأسرى أن يذلل العراقيل والعقبات التي تضعها إدارة السجون بشكل شبه يومي على الأسرى من خلال التواصل اليومي مع إدارة السجن وإيصال مطالب الأسرى إليها.[5]

أولاً: في إطار الدراسة:

مشكلة الدراسة:

تعرَّض الشعب الفلسطيني عبر سنواتٍ طويلةٍ إلى أنواع متعددة من الانتهاكات لحقوقه الأساسية، لذلك سعى الأسرى الفلسطينيين من الفصائل كافة إلى تذليل الإجراءات العقابية والتعسفية بحقهم من قبل إدارة مصلحة السجون، من خلال ممثّلهم، واتِّباع خطواتٍ نضاليةٍ للحد من هذه الإجراءات. واستناداً لما سبق تقديمه، فإنّ مشكلة الدراسة تتضح من خلال السياسة التي اتَّبعتها سلطات الاحتلال، والهادفة إلى تدمير شخصية الأسير من خلال إفراغه من محتواه النضالي وإخضاعه وسلب إرادته والسيطرة عليه. من هنا تظهر المشكلة الجلية في ضرورة التعرف إلى دور ممثل الأسرى في الحد من الإجراءات التعسفية تجاه الأسرى في سجون الاحتلال. وفي ضوء ما تمّ ذكره تتحدد مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية:

[5] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير أيمن سدر، 2022/7/3.

1. ما دور ممثل الأسرى في الحد من الإجراءات التعسفية لإدارة مصلحة السجون بحق الأسرى؟
2. ما أدوات الأسرى النضالية المتبعة في الحد من الإجراءات العقابية لإدارة مصلحة السجون بحقهم؟

أهداف الدراسة:

تكمن أهداف الدراسة في النقاط التالية:

1. بيان دور ممثل الأسرى في الحد من الإجراءات التعسفية لإدارة مصلحة السجون بحق الأسرى.
2. التعرف إلى أدوات الأسرى النضالية المتَّبعة في الحد من الإجراءات العقابية لإدارة مصلحة السجون بحقهم.

أهمية الدراسة:

تتلخص أهمية الدراسة في النقاط التالية:

1. أهمية ممثل الأسرى ودوره في إيصال مطالب الأسرى والتواصل اليومي مع إدارة السجون، والعمل على تذليل العقبات والصعوبات التي تواجه الأسير الفلسطيني في سجون الاحتلال.
2. تسليط الضوء على السياسة التي تتبعها سلطات الاحتلال، والهادفة إلى تدمير شخصية الأسير من خلال إفراغه من محتواه النضالي وإخضاعه وسلب إرادته والسيطرة عليه.

مصطلحات الدراسة:

استخدمت الدراسة المصطلحات التالية:

1. **ممثل الأسرى:** هو الشخص الذي يتم انتخابه داخلياً وتتوفر فيه مميزات خاصةً أهمها السمعة الأخلاقية والأمنية العالية، وأن يكون لديه القدرة على المناورة والمفاوضات، وعلى قدر كبير من الوعي والثقافة والمعرفة بمجريات الأمور في المعتقل، وذا شخصية قوية.[6] ويعرفها الباحث بأنه: الأسير المخوَّل من قبل مجموع الأسرى في السجن، ويكون مفروزاً للتواصل اليومي مع إدارة السجن وإيصال مطالب الأسرى إليها.
2. **إدارة مصلحة السجون:** تسمى"الشاباك"، وبالعبرية "שבס". تأسست سنة 1949 وهي تتبع لوزارة الأمن الداخلي، وتمثِّل الذراع التنفيذية لإنفاذ القانون في" إسرائيل". يقع مقرها الرئيسي في مدينة الرملة في وسط "إسرائيل"، وهي مسؤولة عن 32 سجناً منتشراً في "إسرائيل".[7]
3. **الأسير الفلسطيني:** "كل فلسطيني تمّ اعتقاله بأي طريقة كانت من قبل العدو الصهيوني، لاتهامه بالعمل المقاوم ضدّ الاحتلال".[8]

منهجية الدراسة وأداتها:

يتَّبع الباحث من خلال دراسته المنهج الوصفي التحليلي، والذي يُعد من فروع الأبحاث الوصفية المهمة؛ لملاءمته لأغراض الدراسة، حيث يعرف المنهج الوصفي التحليلي بأنه: "المنهج الذي يمكن من خلاله وصف الظاهرة موضع الدراسة، وتحليل بياناتها، وبيان العلاقة

---

[6] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير مهند شريم، 2022/6/22.

[7] موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، انظر: https://ar.wikipedia.org/wiki

[8] أسمهان العروقي، "الاغتراب النفسي وجودة الحياة لدى الأسرى المحررين المبعدين إلى قطاع غزة ضمن صفقة وفاء الأحرار" (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، 2014).

بين مكوناتها، والآراء التي تطرح حولها، والعمليات التي تتضمنها، والآثار التي تحدثها".[9] وتمّ استخدام المقابلة كأداة للدراسة للإجابة على دور ممثل الأسرى في الحد من الإجراءات التعسفية لإدارة مصلحة السجون تجاه الأسرى، فهي "تقنية من التقنيات التي تستهدف البحث عن المعلومة والتحري عن الحقيقة، غرضها الحصول على حقائق ومواقف أو سلوك أو معتقدات أو اتجاهات، يحتاج إلى تجميعها في ضوء أهداف بحثه، من أجل فهم أوضح للظاهرة المبحوثة في جميع أبعادها ومؤشراتها".[10]

الدراسات السابقة:

قام الباحث بترتيب أهم الدراسات المرتبطة بموضوع الدراسة من الأحدث للأقدم كالتالي:

1. أمجد العبيدي وليلي أبورجيلة، القتل البطيء: علاقة الإهمال الطبي باستشهاد الأسير الفلسطيني داخل قلاع الأسر: سجن جلبوع نموذجاً، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2022: هدفت الدراسة إلى استطلاع الحالة العامة بخصوص ظاهرة الاستشهاد في الأسر، والإحاطة بها من أجل الاستدلال على أكثر الأسباب شيوعاً أو تسبباً لاستشهاد الأسير الفلسطيني داخل الأسر من وجهة نظر الأسرى أنفسهم، والوقوف على الأسباب والتداعيات بهدف استخلاص العِبَر، والتنبه لخطورتها وعدم الوقوف عليها، ومعرفة وفهم أفضل أشكال ردات الفعل وأهدافها. وقد استهدفت استبانة الدراسة عينة من سجن جلبوع، وأكّدت الدراسة على أن الإهمال الطبي المتعمّد وغير المتعمّد على الأسرى الفلسطينيين من قبل إدارة مصلحة السجون هو أهم وأول وأشمل الأسباب المؤدية إلى فقدان الأسير لحياته، واستشهاده داخل الأسر.

---

[9] فؤاد أبو حطب وآمال صادق، **مناهج البحث وطرق التحليل الإحصائي: في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2010).

[10] أحمد نقي، "المقابلة: الماهية، الأهمية، الأهداف، الأنواع"، مجلة **أفانين الخطاب**، كلية الآداب واللغات، الجزائر، المجلد الأول، العدد 2، 2021، ص 86.

- 2. محمد أبو شريعة، "الحركة الأسيرة وتأثيرها في السياسة الفلسطينية (2006-2012)" (رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة، 2013): ناقشت هذه الدراسة مدى تأثير الحركة الأسيرة في السياسة الفلسطينية، فعلى الرغم من وجود الأسرى الفلسطينيين في السجون إلا أن دورهم في السياسة الفلسطينية لم يكن غائباً. وقد أسهمت الحركة الأسيرة في العديد من القضايا السياسية، كما أثَّرت بشكلٍ مباشرٍ في العملية السياسية بشكلٍ خاصٍ، وفي الحياة السياسية بشكلٍ عامٍ. وعلى الرغم من اختلاف الرؤى بين فصائل العمل الوطني الفلسطيني، استطاعت الحركة الأسيرة أن تبلور رؤيةً مشتركةً بين جميع الفصائل الفلسطينية في السجون الإسرائيلية، تمثلت في وثيقة الأسرى.
- 3. علي حلس، "حماية أسرى الحرب والمعتقلين في الأراضي الفلسطينية المحتلة: دراسة تحليلية تطبيقية في اتفاقيتي جنيف الثالثة والرابعة لعام 1949م" (رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الأزهر، غزة، 2010): عالجت الدراسة موضوع حماية الأسرى والمدنيين المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، ووقفت على الانتهاك الإسرائيلي لحقوق الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في سجونها، من خلال التطور التاريخي لحماية أسرى الحرب في العصور القديمة التي عرفت بقسوتها ووحشيتها، إلا أن ذلك لم يكن مطلقاً، فالحماية التي يتمتع بها أسرى الحرب تمتد في جذورها إلى أعماق التاريخ بنسب متفاوتة. وقد خلصت الدراسة إلى أنه في العصور الوسطى لعبت الديانات السماوية الثلاثة (اليهودية، والمسيحية، والإسلام) دوراً في توفير الحماية لأسرى الحرب، كما أظهرت الدراسة حقوق الأسير الثقافية والتعليمية، وممارسة نشاطه الثقافي والفكري والرياضي والترفيهي.

التعقيب على الدراسات السابقة:

بعد اطلاع الباحث على الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة، تبين للباحث أن الأسرى في سجون الاحتلال يعانون أشكالاً شتى من انتهاكات لحقوق الأسرى التي أقرَّتها الاتفاقات الدولية، ومع ذلك فقد أظهر الأسرى مثالاً للتحدي والإصرار من خلال مأسسة المعتقلات الإسرائيلية وتحويلها لمؤسسة تنظيمية مكونة من بناء هرمي تسلسلي هيكلي منظم قائم على أسس ديموقراطية وإدارية، مكوّن من عدة لجان كاللجان الثقافية والأكاديمية والمالية التي شكلت ركيزةً مهمةً في الحفاظ على مجتمع الأسرى أمام غطرسة السجان وهيمنته، والإبقاء على الإنسان الوطني الفلسطيني المقاوم، والتي برزت كحاجة ملحة لخدمة الواقع الاعتقالي ومصلحة الحركة الأسيرة. وقد تبين للباحث من خلال الدراسات السابقة افتقارها إلى الدراسات التي تُعنى بالحديث عن ممثل الأسرى بشكل خاص ولا سيّما الدور الذي يلعبه في الحد من انتهاكات مصلحة إدارة السجون، وهذا ما أعطى للدراسة وجهاً من التميز النوعي.

ثانياً: التنظيم في الأسر:

بعد احتلال سنة 1967، بدأت الحركة الوطنية الفلسطينية تعمل على الأرض الفلسطينية وخارجها، وقد رافق ذلك ظاهرة الأسر عموماً. وتبلورت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، التي هي عبارة عن مجموع الأسرى الفلسطينيين الذين وقعوا في أسر الاحتلال بعد قيامهم بعمل مقاوم للاحتلال سواءً كان عسكرياً أم سياسياً أم حتى ثقافياً.

قبل سنة 1967 كان هناك أسرى فلسطينيون في سجون الاحتلال لكن للأسف الشديد لم تكن الحركة الأسيرة قد تبلورت بعد، ولم يعط الأسرى في ذلك الوقت حقهم في المتابعة التاريخية، فالتاريخ الفلسطيني لا يذكر الفترة الواقعة منذ سنة 1948 وحتى 1967، حيث بدأ الفلسطينيون يتعاملون مع جسم أُطلق عليه الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة، تضمّ داخلها مجموعة من الفصائل والتنظيمات، إضافةً إلى الشخصيات الوطنية أو الفدائية المناضلة، أو الجنود المقاتلين سواءً في الجيوش العربية أم جيش التحرير الفلسطيني، حتى بدأت تظهر منظمة التحرير الفلسطينية، والفصائل المقاتلة الحديثة التي أصبحت فيما بعد جزءاً منها، حيث كانت الحركة الأسيرة تاريخياً عبارة عن جيش التحرير الفلسطيني، حيث كان الشهيد عبد القادر أبو الفحم ضابط في جيش التحرير، واستشهد إثر إضراب سنة 1970، وكانت حركة فتح بالإضافة إلى الجبهتيْن الشعبية والديموقراطية، ولحقت بهم فصائل أخرى جزءاً من م.ت.ف. وبعد انطلاق انتفاضة الحجارة سنة 1987، بدأت حركتا حماس والجهاد الإسلامي تظهران بشكل واسع وسريع في الأسر.[11]

وبشكل عام، فإن التنظيمات الفلسطينية متشابهة إلى حدٍّ كبير في حياتها الداخلية التنظيمية؛ فالتنظيم هو مجموع العناصر المنتظمين تحت إطار هذا التنظيم في الأسر، وحاملين العضوية الكاملة، وموافقون على لوائحه الداخلية التي تنظم الحياة بين أعضائه. ففي كل تنظيم يوجد تراتب تنظيمي يبدأ من القاعدة إلى القمة، ومؤتمر عام على شكل هيئة تشريعية أشبه بما نسميه برلمان؛ يقوم بانتخاب لجنة مركزية أو ما يسمى مجلس الشورى، أشبه بالحكومة في الخارج، ومجلس

[11] أمجد عبيدي، فلسطين والأسرى: أثر الأسر في تشكيل العقلية والنفسية الفلسطينية، 2016.

الشورى أو المركزية تقوم بانتخاب الموجّه العام أو الأمير العام، هذه تراتيب في الهيئات أو المؤسسات القيادية في كل تنظيم، وتأتي بالانتخابات الجدية القائمة على الاقتراع السري المباشر، ويختلف قليلاً بين التنظيمات بالتوقيت، فمنها من يجدِّد الانتخاب كل ستة شهور، ومنها خمسة أو أربعة شهور، فمثلاً في هيكلية حماس يتم انتخاب الهيئة التنظيمية حسب النظام الداخلي، فكل 10 أسرى يتم تمثيلهم من خلال انتخاب أسير واحد، فمثلاً إذا كان عدد الأسرى مئة أسير يتم انتخاب 10 أسرى لتمثيلهم، وبعد ذلك يتم انتخاب المكتب التنفيذي من خلال المنتخبين أنفسهم، وبعد ذلك يتم تقسيم اللجان حسب الكفاءات لتقوم بمهمة محددة على الشكل التالي:

⇦ **الأمير العام**: هو المسؤول الأول عن كل اللجان ويعود إليه متابعة كل اللجان، وهي كالتالي:

- **اللجنة الإدارية**: هي اللجنة المسؤولة عن ترتيب الحياة داخل التنظيم اجتماعياً وتنظيمياً.
- **اللجنة الثقافية**: هي اللجنة المسؤولة عن متابعة وترتيب الحياة الثقافية والعلمية لأبناء التنظيم.
- **اللجنة الإعلامية**: هي اللجنة المسؤولة عن التواصل الإعلامي بين اللجنة والإعلام بالخارج، لمتابعة آخر تطورات الأسرى وأحداث السجون بشكل لحظي.
- **اللجنة الخارجية**: هي اللجنة المسؤولة عن علاقة التنظيم مع كافة التنظيمات، ومع إدارة السجون، وكافة الجهات الرسمية خارج السجن.
- **اللجنة الاجتماعية**: هي اللجنة المسؤولة عن متابعة أبناء التنظيم ومتطلبات عائلاتهم ومخصصاتهم وما إلى ذلك.
- **اللجنة المالية**: هي اللجنة المسؤولة عن إدارة المال في السجن ومع الخارج.

كما أنه يوجد لجان فرعية أحياناً، كأن تكون هناك لجنة مفاوضات مع الإدارة، أو لجنة سياسية، أو لجنة قضائية للبتِّ في أمر معيّن أو شكوى.[12]

فالتنظيم عملياً يعيش في غرف، كل غرفة تتشكل من ثمانية أفراد، وكل غرفة لها موجِّه أو أمير، ومدير الغرفة تكون علاقته مع اللجنة الإدارية. وهناك سجون غرفتها عبارة عن زنازين تتسع لثلاثة أسرى، وهناك سجون قديمة ما زالت تستعمل فيها غرف تتسع لعشرة أسرى ومنها أربعة عشر ومنها ستة عشر، أما الجديد فكله ثمانية، ويوجد جهاز أمني لكل تنظيم، سري جداً، يتبع للأمير أو الموجِّه مباشرةً، عليه متابعة الحالات الأمنية، وتسجيل أي اختراق من أجل التعامل معه، ويُعدُّ كل أفراد التنظيم مرشحين في كل انتخابات إلا غير الحاصلين على العضوية الكاملة، والذين وقع بحقهم عقوبة تنظيمية؛ "سحب عضوية" أو "تجميد عضوية".

يفرز التنظيم ممثلاً للأسرى، جموع الأسرى في السجن، وكذلك ممثل لكل قسم، والتمثيل مسألة لم تكن موجودة في بداية الاحتلال، لأن العدو لا يعترف بالأسرى كأسرى، بل يتعامل معهم كـ"إرهابيين" ومخرِّبين، وكل واحد مسؤول عن نفسه كما المجرمين أو الأسرى الجنائيين، ولكنه اعترف بالتمثيل رَغماً عنه في أواخر سبعينيات القرن العشرين، فاتفقت الفصائل على أن يكون التمثيل الاعتقالي العام للتنظيم الأكبر حجماً في السجن، وتمثيل الأقسام حسب نسبة كل تنظيم وعدد عناصره، لذلك يمنع على أي فرد أو مسؤول التعامل الشخصي مع إدارة السجن، إلا من خلال ممثل القسم أو ممثل الأسرى الذي تطلق عليه الإدارة "الدوبير"، وليس بشكل مباشر إنما عبر إدارية التنظيم.[13]

---

[12] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير عبد الناصر عيسى، 2022/7/17.

[13] المرجع نفسه.

إن أهم إنجاز حققه الأسرى في السجون الإسرائيلية هو بناء الهياكل التنظيمية التي هيّأت كل الظروف والأجواء لأشكال النضال والإبداع كافةً، والتي ضبطت علاقات الأسرى في الداخل بقوانين محددة، وضبطت العلاقة بين الأسرى وإدارة السجن. ووجد الأسرى أن التعاون بينهم ضروري وتمليه الظروف التي يعيشها الأسرى داخل السجون، وبدونه لا يمكن تحسين أوضاع المعتقل، وكان لا بدّ من وجود التعاون وتنسيق المواقف بينهم، فبناء التنظيم داخل السجون كان ضرورياً جداً، حيث إن العلاقة بين الأسرى وإدارة السجن تقتضي وجود تنظيم لتسهيل التفاهم والاتصال بإدارة السجن وإبلاغهم بمطالب الأسرى، حيث إن ممثل المعتقل هو من يتحدث باسم الأسرى أمام الإدارة، فلا يستطيع الأسرى الحصول على حقوقهم إلا من خلال التنظيم، كما أن كل فصيل داخل السجن بحاجة إلى ضبط أعضائه وضبط العلاقات بينهم، بحيث يكون هناك مرجعية في حالة حدوث خلافات، وهذه المرجعية يمثلها التنظيم، فالتنظيم يضبط كل الأمور المتعلقة بالأسرى داخل المعتقل كالطعام والنظافة والإضرابات، وكلٌّ يعمل داخل هذا النظام مثل خلية النحل.[14]

كما إنه مع ازدياد أعداد الأسرى داخل السجون أصبح وجود التنظيم ضروري من أجل انضمام أبناء الفصيل الواحد إليه، وتعميق انتمائهم، وزيادة وعيهم حول مختلف الأمور السياسية والوطنية والتنظيمية، وأوجد الأسرى في السجون نظاماً داخلياً قام بتغطية جوانب حياتهم كافةً داخل الأسر؛ كالحياة الاجتماعية والسياسية والدراسة والأكل والتنظيف، وعلى الرغم من الظروف القاسية التي عاشها الأسرى إلا أنهم نجحوا في إنشاء هذا النظام، والذي كان هدفهم منه النضال ضدّ ظروف السجن القاسية ومقاومتها،[15] وقد خضع كل أسير وفق هذا النظام إلى التزاميْن، وهما؛ أن الأسير يخضع للتنظيم المشترك لجميع الأسرى، ويخضع للتنظيم السياسي الذي ينتمي إليه.[16]

---

[14] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير سليم الجعبة، 2022/6/3.

[15] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير رائد أبو حمدية، 2022/6/7.

[16] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير أمجد عواد، 2022/6/5.

يرى الباحث أن عملية التنظيم وانتخاب الممثلين هدفت إلى ترتيب الواقع الاعتقالي لدى الأسرى، وتسهيل ظروف حياتهم وتنظيم مناحي الحياة كافةً داخل الأسر، وتحديد الصلاحيات والمسؤوليات لكل فرد، واستغلال هذه الكفاءات والإمكانيات للحصول على أفضل عمل، وتحقيق التنسيق والتكامل بين تخصصات العاملين وخبراتهم ومهاراتهم بين الإدارات والأقسام، وهذا لا يتمّ إلا من خلال قيام التنظيم المنتخب بتحديد الأعمال والأنشطة التي يلزم القيام بها للوصول إلى الأهداف المقررة، ووضع المواصفات والخصائص التي يجب توافرها في الأشخاص المعنيين، وتحديد علاقاتهم ومسمياتهم، وتحديد علاقاتهم وانسيابية العمل بينهم.

ثالثاً: التشكيلات التنظيمية للحركة الأسيرة داخل السجون الإسرائيلية:

خاضت الحركة الأسيرة صراعاً كبيراً مع إدارة السجون، وسجَّلت مواقف عظيمة في الصبر والصمود، وتمكنت بالرغم من التنافس بينها من إيجاد طريقة للتفاهم حول هذه المسألة، حيث وضعت الحركة الأسيرة آلية لاتخاذ القرارات النضالية في مواجهة إدارة السجون، وقامت بتحديد طبيعة عمل الهيئات الاعتقالية وطبيعة العلاقات الفصائلية،

ووجد الأسرى أن التعاون بينهم ضروري من أجل تطوير المستوى المعيشي داخل السجن.[17] كوّن الأسرى لجاناً مشتركة في المجالات كافةً، لتوحيد الآراء وترتيب الأوضاع بشكل يرضي الجميع، ومن أهم هذه اللجان:

1. **اللجنة النضالية العامة**: ويرأسها ممثل الفصيل الأكبر من بين الفصائل المتواجدة في المعتقل، ومهمتها الرئيسة البتّ في أمر القرارات المصيرية العامة؛ كقرار الإضراب عن الطعام أو غيره من سبل المواجهة مع إدارة السجن، ورسم سياسات الأسرى وتحديدها مع الإدارة، وهي المسؤولة عن الاتصالات مع الخارج، وتقوم بعملها على أساس أنها هيئة متعاونة متكاملة تتحمل مسؤولياتها داخل المعتقلات، وتتخذ القرارات بالأغلبية وتلتزم الأقلية بتنفيذ القرار.
2. **ممثل الأسرى**: وينتخب من قبل الأسرى، ويكون ممثلاً للمعتقل أمام الإدارة وينطق باسم المعتقلين والأسرى جميعاً، ويتم اختيار ممثل المعتقل من الفصيل الأكثر عدداً. وذكر الأسير المحرر فراس القاضي، أنه على الرغم من أن ممثل المعتقل يكون من الفصيل الأكثر عدداً، إلا أنه في أثناء تواجده في السجن، تمّ اختيار الأسير توفيق أبو نعيم ممثلاً للسجن وهو من أسرى حركة حماس، على الرغم من أن أسرى حركة فتح كانوا أغلبية، إلا أن الأسرى وجدوا في هذا الشخص مصداقيةً عاليةً، وسمعةً أخلاقيةً، وأمنيةً كبيرةً، ووجد الأسرى أنه خير من يمثلهم في تلك الفترة.
3. **كانتينا السجن "مقصف السجن"**: تكاتفت جهود القيادات داخل الحركة الأسيرة، وأسست ما عرف بالكانتينا، حيث يدار من قبل لجنة مشتركة تشرف على عملية شراء الحاجيات اللازمة وتوزيعها على الأسرى، ويُعيّن في كل قسم أو غرفة في المعتقل لجنة فرعية تشرف على الكانتينا وتحافظ على المواد وتخزنها في أماكن مناسبة، ويوفر الصندوق الحاجيات اللازمة للأسرى دون أي تمييز بينهم، وكان في السابق لكل فصيل صندوق

[17] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير نصري عاصي، 2022/6/10.

خاص به، ولكن الأسرى وبعد جهود حثيثة استطاعوا تأسيس صندوق واحد لكل الفصائل.

وتتشابه الهيكليات التنظيمية للفصائل الفلسطينية مع اختلافها في بعض المسميات وآليات اتخاذ القرار، فالهيئة التنظيمية لكل سجن أو قسم تتكون من:[18]

- الأمير العام أو الموجه العام للسجن، وهو مسؤول التنظيم داخل السجن، ولكل تنظيم موجه عام.
- مكتب تنفيذي وإداري.
- مجلس شورى.
- القاعدة التنظيمية.

يسمى القائد العام للتنظيم في حركة فتح بالموجِّه العام، بينما يسمى عند حركة حماس بالأمير العام، ويتم انتخاب اللجنة المركزية من قبل المجلس الثوري عند تنظيم فتح، ومن مجلس الشورى عند تنظيم حماس، واستطاع الأسرى بناء جبهة داخلية بطريقة مميزة ورائعة، وأفرزت قيادات منتخبة خاصةً بكل فصيل من الفصائل، وتعاونت هذه القيادات مع نظرائها من السجن نفسه، ومع القيادات في السجون الأخرى، وأدارت شؤونهم الثقافية والنضالية والمالية والأمنية والرياضية بكل كفاءة، وقام كل فصيل تنظيمي داخل السجن بوضع اللائحة الاعتقالية الخاصة به للنظام الداخلي. وسنتناول في دراستنا هيكلية تنظيم حماس داخل سجون الاحتلال.[19]

[18] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير مازن القاضي، 2022/6/11.

[19] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير عمار مرضي، 2022/6/11.

رابعاً: هيكلية حماس داخل السجون:

يرتكز النظام الداخلي لحركة حماس داخل السجن على منهج الشورى الانتخابي الديموقراطي حسب اللوائح الاعتقالية التي تضبط الواقع الاعتقالي، حيث يتم فرض العقوبات التي تبدأ بالاعتذار وقد تصل إلى الفصل من التنظيم، وهذه اللائحة يتم التصويت عليها نهاية كل دورة انتخابية، كل 4-6 أشهر، ليتم تعديلها أو الإضافة عليها. ويضمّ الهيكل التنظيمي لحماس الهيئة التنظيمية القيادية العليا، ومن ثم الأمير ونائب الأمير، ومجلس الشورى، والمكتب التنفيذي، واللجنة الوطنية، والثقافية، والأمنية، والاجتماعية، والخارجية، والمالية، والإعلامية، والسياسية، والرياضية، ويتم اتخاذ القرار من خلال نظام الشورى،[20] وسنوضح ترتيب هيكلية حماس من خلال الشكل التالي:

الهيكلية التنظيمية لحماس داخل السجون

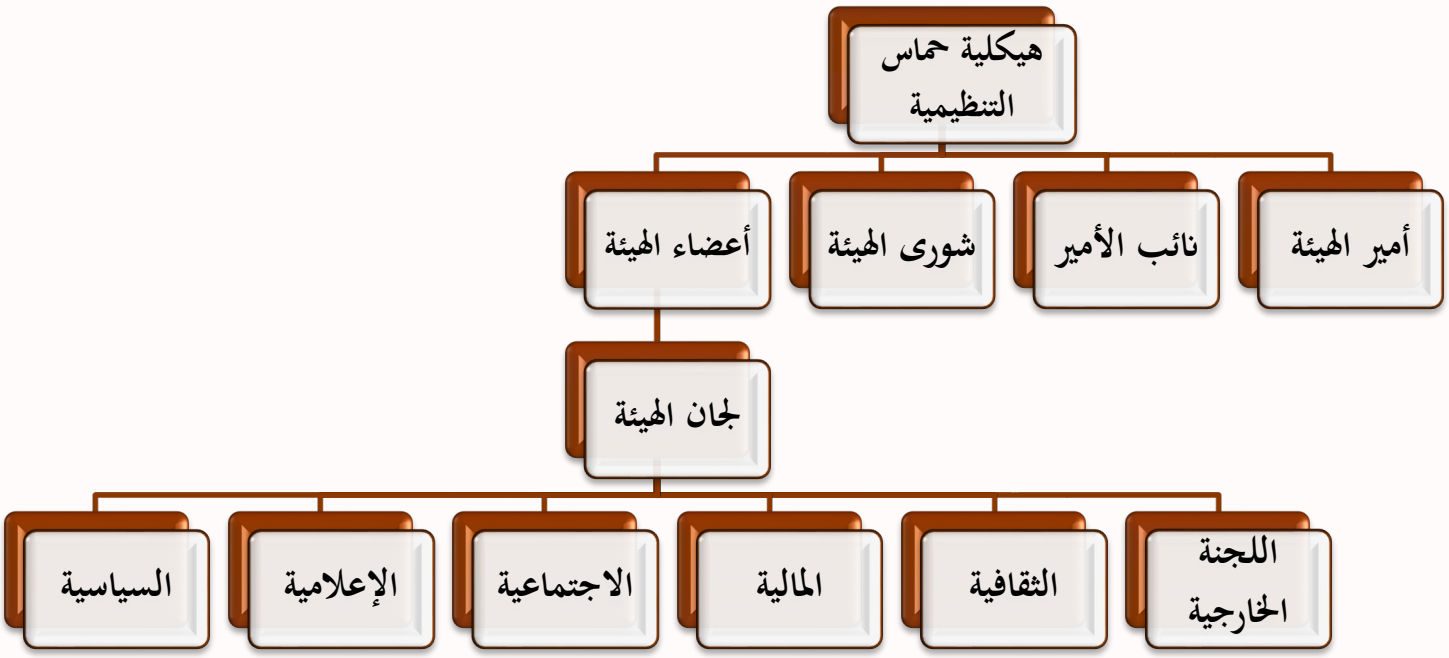

[20] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير بهيج بدر، 2022/6/13.

خامساً: وظائف عمل أركان الهيكلية التنظيمية لأسرى حركة حماس:[21]

- **الهيئة القيادية العليا:** تنتخب من قبل السجون كافةً، ومكونة من رئيس، ونائب رئيسي، ونائب إعلامي، وكل عضو في الهيئة يختصّ بعمل معين؛ فمنهم المسؤول عن الإعلام، ومسؤول عن المالية، ومسؤول عن القانونية وهكذا، وإذا حدث أي معضلة ولم يستطع الأعضاء حلَّها فإنهم يعودون إلى رئيس الهيئة لحلِّها.
- **الأمير العام لكل سجن:** وهو حلقة الوصل بين الهيئة القيادية العليا وبين الأسرى في السجن، وله القرار الأساسي في السجن المسؤول عنه.
- **المكتب الإداري:** ويتحدد عدد أعضائه حسب عدد الأسرى في السجن.
- **مجلس شورى:** هناك مجلس شورى عام للسجن، يتحدد عدد أعضائه حسب عدد الأسرى في السجن، ويوجد مجلس شورى خاص لكل قسم ينتخبه باقي الأسرى.

وعندما تنتهي مدة التنظيم المنتخب، يتم اختيار لجنة انتخابات تشرف على العملية الانتخابية، وتبدأ بالاتصال مع باقي الأقسام، فتتشكل في داخل كل قسم لجنة انتخابات فرعية تتبع لجنة الانتخابات الرئيسية، ويتم عمل انتخابات مجلس شورى للقسم، ومن ثم يوزع استمارات على أعضاء مجلس الشورى الفائزين ليقوموا بانتخاب مجلس الشورى العام، ويقوم أعضاء مجلس الشورى العام بانتخاب أعضاء المكتب الإداري الذين بدورهم يقومون بانتخاب الأمير العام ونائبه، وكانت هذه الانتخابات تحدث في أجواء هادئة وبصورة دقيقة وبشفافية عالية.

سعت سلطات السجون إلى إيجاد تناقضات بين الأسرى كأفراد أو كأطر، من أجل إثارة الفتن والنعرات بين الهياكل التنظيمية في السجن؛ بهدف تدمير الذات الفلسطينية، وبالتالي يعزز الاحتلال سلطته ونفوذه على الأسرى.

[21] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير جمال الهور، 2022/6/23.

كما سعت سلطات الاحتلال إلى عزل الأسرى عن العالم الخارجي، ومنعهم من الاتصال بذويهم ومحاميهم وتنظيماتهم التي ينتمون إليها، إلا أن الأسرى لم يستسلموا لهذا الوضع بل سعوا دائماً لإيجاد طرق للاتصال بالخارج، وذلك في سبيل الاستمرار في معركة إثبات الوجود التي خاضها الأسرى طوال سنين اعتقالهم.

سادساً: ممثل الأسرى:

مجتمع السجن عبارة عن مؤسسة ديناميكية تقوم على التفاعل والاندماج والنشاط والحيوية، حيث عملت الحركة الوطنية الأسيرة جاهدةً على تشكيل البنى الاجتماعية التي تعمل على ربط أعضاء الجماعة بعضهم ببعض، وتحديد مجموعة القيم المعيارية المنتظمة التي تتحكم بسلوك الشخص داخل الجماعة والمجتمع الاعتقالي، لذلك إن أهم إنجاز حققه الأسرى في السجون، هو بلورة الهياكل التنظيمية التي هيأت كل الظروف والأجواء لانطلاق أشكال الإبداع كافةً للحركة الأسيرة، والتي حكمت جميع العلاقات وضبطتها بلوائح وقوانين، وحدَّدت لكل منها المهام والأهداف.[22]

سيقوم الباحث في هذا المبحث تحديداً بتوظيف فترة معايشته الطويلة للأحداث في السجون؛ عبر مشاهدته وملاحظته وتفسيره لها، وإجراء العديد من المقابلات المنوّعة مع ممثلي السجون المختلفة، وتدوين وتوثيق الفترات والأحداث التي عايشها وشاهدها في أثناء عمله كممثل للسجون من سنة 2006 إلى سنة 2022، وتنقّله بين السجون.

[22] رأفت حمدونة، **الجوانب الإبداعية للأسرى الفلسطينيين** (رام الله، فلسطين: وزارة الإعلام الفلسطينية، 2018).

1. تعريف ممثل الأسرى:

هو شخص يتم اختياره من جموع الأسرى، بهدف تمثيلهم أمام إدارة السجن وأمام الفصائل، ويعمل على تحقيق مصالح الأسرى واسترداد حقوقهم بكل الطرق والوسائل.[23]

وهو الشخص الذي يتم انتخابه داخلياً وتتوفر فيه مميزات خاصة؛ أهمها السمعة الأخلاقية، والأمنية العالية، وأن يكون لديه القدرة على المناورة والمفاوضات، وعلى قدر كبير من الوعي والثقافة والمعرفة بمجريات الأمور في المعتقل، وقوة الشخصية.[24]

وهو الشخص الذي يتم اختياره ليكون ممثل التنظيم في إطار اللجنة الوطنية وأمام إدارة السجون، بحيث يحق لكل تنظيم استبدال ممثله، ويراعي أن يكون صاحب قدرات وإمكانيات.[25]

2. صفات ممثل الأسرى في سجون الاحتلال:

من أهم الصفات التي ينبغي توفرها في ممثل الأسرى لنجاح عمله والوصول إلى هدفه ما يلي:[26]

- الصبر والتحكم في النفس: حيث يُعدُّ الصبر واحدة من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها ممثل الأسرى، خصوصاً أن المؤسسة الاعتقالية تمرّ بالكثير من الأزمات والأوقات العصيبة والمشاكل التي تحتاج إلى الثبات والصبر والتحكم في النفس في وقت الغضب، حتى يستطيع اتخاذ القرارات الصائبة.
- الشفافية والوضوح: ينبغي أن يكون الممثل واضحاً أمام نفسه ومع الآخرين، سواءً كان مع إخوانه الأسرى، أم مع إدارة مصلحة السجون، لأن الصدق والوضوح يجنب الممثل من الوقوع في الكثير من المشاكل، ويوجد نوع من الراحة والثقة في التعامل بينه وبين الآخرين.

---

[23] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير نايف غيظان، 2022/6/26.

[24] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير مهند شريم، 2022/6/22.

[25] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير عمار مرضي، 2022/6/11.

[26] مقابلة أجراها الباحث مع الأسرى أكرم القواسمي، وجمال الهور، وأشرف زغير، سجن نفحة، 2022/6/29.

- القدرة على حلّ المشكلات والنزاعات التي قد تعيق العمل، وقدرته على التركيز والتفكير وإصدار الأحكام السليمة، إضافةً إلى إتقان فن الحوار والإقناع.
- يتمتع بالشخصية والروح القيادية القادرة على التخطيط، والمتابعة، والمراقبة، والتقييم، والرؤية الثاقبة، والدقة، والتنظيم.
- يتحدث اللغة العبرية بطلاقة.
- قوة التحمل والعمل تحت أي ضغط تفرضه ظروف الأسر.
- أن يتصف بالحزم مع المرونة التي تساعده على تحقيق الأهداف.
- أن يكون لديه أفق واسع، ورأي رشيد وحكيم، ولديه قوة وثبات انفعالي.
- أن يتمتع بقوة الشخصية والقدرة على التأثير في الآخرين.
- البتّ في الأمور والوصول إلى قرارات سليمة وحكيمة.

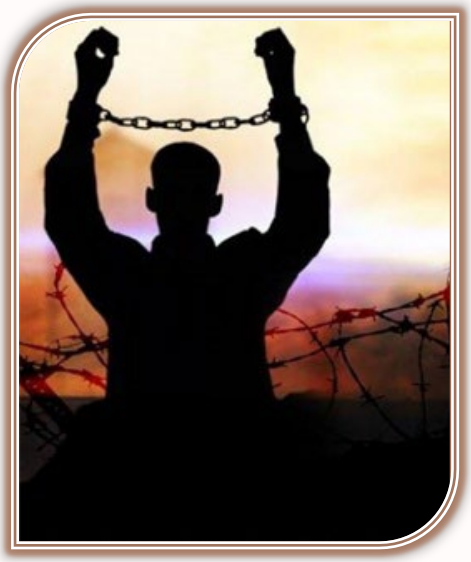

3. وظائف ممثل الأسرى في سجون الاحتلال:[27]

- وضع سياسة العمل الخارجي، وتحديد مسؤولي أفرع العمل بما يتلاءم مع السياسة العامة.
- تمثيل الحركة، حركة حماس، بكل مكوّناتها أمام إدارة السجن.
- تمثيل الحركة أمام الفصائل الإسلامية والوطنية والتنسيق معهم في بعض القضايا.
- إيجاد البرامج والأفكار التي يمكن من خلالها تطوير الحياة الاعتقالية.

[27] مقابلة أجراها الباحث مع الأسرى مهند شريم، ونصري عاصي، وبهيج بدر، ويوسف قيسية، ومحمد إسماعيل الحروب، سجن رامون، 2022/6/28.

- إحياء المناسبات الوطنية والدينية بالتنسيق مع اللجنة الثقافية.
- متابعة الأسرى ورسائلهم وطلباتهم وكل احتياجاتهم.
- حلّ المشاكل مع إدارة السجن.
- متابعة نقليات الأسرى بين الأقسام وبين السجون.
- متابعة علاج الأسرى المرضى.
- المطالبة الدائمة بحقوق الأسرى وانتزاعها من إدارة مصلحة السجون.
- التنسيق مع الجهات الرسمية التي تزور السجون؛ مثل الصليب الأحمر الدولي، ومكتب مراقب الدولة، والمحاكم.
- استلام كل ما يتم إدخاله من ملابس، سواءً كان من الأهالي أم الصليب الأحمر، وسواءً كانت كتب وأدوات رياضية وغيرها.
- حفظ كشف بأسماء الإخوة في القلعة بالمعلومات كافةً.
- متابعة مستحقات الحركة المالية والعينية التي تأتي إلى الموقع بصورة غير دورية من أي جهة كانت.
- إيجاد قناة اتصال مع اللجان الخارجية في المواقع كافةً؛ لتنسيق الأداء وتوحيد التوجه في القضايا العامة.
- تقديم تقرير شهري وختامي للمكتب التنفيذي ومن ثم إلى مجلس الشورى.

4. الصلاحيات التي يتمتع بها ممثل الأسرى لمواجهة إدارة مصلحة السجون:

إن الناظر إلى واقع الأسرى في سجون الاحتلال، يرى أن سلاحهم لمواجهة ظلم وجبروت المحتل وغطرسته هو إرادتهم الصلبة وإيمانهم بعدالة قضيتهم، وأنهم أمام محتل يجب مواجهته والتصدي له بكل ما لديهم من وسائل نضالية وعزيمة صلبة.

فلقد استخدمت إدارة مصلحة السجون الكثير من الوسائل اللا إنسانية بهدف ترويع الأسرى والتأثير على قدرتهم المعنوية والنفسية، إلا أن الحركة الأسيرة استطاعت بالرغم من قلة إمكانياتها المادية، وعبر نضالاتٍ مستمرة تُوجت بعدد كبير من الشهداء، وعبر خطوات نضالية حكيمة ومنسجمة مع الواقع والمتطلبات، وبالوسائل السلمية والحرب النفسية والعنيفة، وبالحوارات والإضرابات والمواجهة وغيرها من الوسائل، وبالكثير من التضحيات أن تنتقل الحركة الأسيرة من ضعف التجربة إلى الخبرة والقيادة، ومن العجز إلى الإعداد، ومن الاستهداف إلى الحماية والأمن، ومن غياب الكادر إلى إعداد القادة، وتمّ الانتقال من مرحلة إلى أفضل، من مرحلة العفوية وفقدان الاتزان إلى مرحلة بناء الذات والتكوين التنظيمي وصولاً إلى حالة الإبداع على كل المستويات التنظيمية، والإدارية، والثقافية، والمالية، والأمنية، والعلاقات الفصائلية، والتأثير الإيجابي خارج السجون.[28]

لقد تمكنت الحركة الأسيرة خلال تجربتها الطويلة من تشكيل مؤسساتها وهيئاتها الاعتقالية والوطنية، ووضعت لذاتها نظاماً داخلياً لضبط شؤون الأسرى بينهم وبين أنفسهم

[28] رأفت حمدونة، "الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة" (رسالة دكتوراه، القاهرة، 2018)، ص 70.

من جانب، وبينهم وبين إدارة مصلحة السجون من الجانب الآخر، هذا النظام كان دقيقاً جداً، فلم يسمح لأحد بالتحدث باسم الأسرى إلا لمن ينتخب من قبل الأسرى أنفسهم، ممثل الأسرى، وشمل هذا النظام كل مناحي حياة الأسرى الأمنية والثقافية والخارجية والإدارية والمالية، ووضع الضوابط لكل تفاصيل حياة الأسرى لحمايتهم وتطورهم على كل المستويات.[29]

ومن خلال ممثل الأسرى يتم التواصل مع إدارة السجون، حيث يتسلح في حواراته بموقف وبقوة وإرادة وغضب ألف أسير في بعض السجون الكبيرة، حيث تتعامل إدارة مصلحة السجون معه بهذا الوزن وهذا الثقل، وفي المقابل يكون محكوم ومراقب منهم جميعاً، وموجه بسياسات المؤسسة الاعتقالية، ويتمّ تثبيته ودعمه ومساندته في حال نجح في تسويق قضايا الأسرى وتحقيق الإنجازات والحقوق لهم.[30]

ومن خلال معايشة الباحث لواقع السجن ولإحدى القمعات التي حصلت في سجن جلبوع سنة 2013؛ فبعد صفقة وفاء الأحرار وبعد إضراب الكرامة، والتي كانت لإخضاع الأسرى ليلة عيد الأضحى بالقوة، كانت المواجهة غير متكافئة بين سجان استدعى طواقم وحدات القمع لسجنَيْ جلبوع وشطة من قوات المتسادة Massada والدرور Dror واليماز Yamas، وجميعهم مسلحون بالسلاح والغاز والدروع والكلاب البوليسية،

[29] مصطفى كبها ووديع عواودة، **أسرى بلا حراب: المعتقلون الفلسطينيون والمعتقلات الإسرائيلية الأولى 1948–1949** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2013)، ص 21.

[30] رأفت حمدونة، **الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في الفترة ما بين 1985 إلى 2015** سلسلة إصدارات وزارة الإعلام (رام الله: وزارة الإعلام الفلسطينية، 2018)، ص 104.

وكاميرات المراقبة منتشرة في كل أنحاء وزوايا القسم، وكان الباحث حينها في غرفة 14، ولم يكن الأسرى يملكون سلاحاً سوى التكبير وصحون الطعام وقطع الصابون وبعض المعلبات. في بداية المعركة تمّ السيطرة على السجان من خلال إلقاء ما لدينا من موارد قليلة لا تذكر حينها، فسارعت قوات الاحتلال بالاختباء إلى أن نفذت ذخيرة الأسرى البسيطة من الأدوات المتواجدة داخل غرفة السجن، قامت إدارة السجن ممثلة بوحدات القمع القتالية بالاعتداء الوحشي والتنكيل بالأسرى، واقتحام الغرفة بوحشية لا توصف، ومصادرة أغراض وإنجازات الأسرى، ثم بدأت رائحة الغاز المسيّل للدموع بالانتشار في الغرف كافةً، في سجن لا تهوئة فيه ولا ترقى أركانه لأي مكان إنساني، ثم بدأت وحدات القمع بتحطيم أيدي وأرجل الأسرى وتكبيلهم. هذه قصة من مئات القصص التي عايشها الباحث وما زالوا يعيشونها الأسرى في سجون الاحتلال.

وهنا يؤكد الباحث، أن القمع أصبح وراء ظهور الأسرى ولم يعُد رادعاً لهم كما خطط له السجان، وكما كان يفكر قادة السجون، وأصبحت أوضاع الأسرى بعد القمع أفضل، بعكس ما كانت تتوقعه إدارة السجون، وذلك كله لأن الأسرى صمدوا وثبتوا وخططوا جيداً مما جعلهم ينتصرون على سجانهم، فلقد حقق الأسرى إنجازات بصمودهم، حيث اضطر السجان إلى الاستجابة لمطالبهم، فانقلب السحر على الساحر وأصبح الأسير الذي تعرّض للقمع منتصراً والسجان مهزوماً.

لذا يأتي دور ممثل الأسرى في محاولة تخفيف الإجراءات التعسفية التي تصدرها إدارة مصلحة السجون بحق الأسير، من خلال وسائله وأدواته المسموح له بها من قبل المؤسسة الاعتقالية، كاتخاذ قرارات سريعة دون الرجوع إلى التنظيم، بحيث تكون هذه الخطوات خطوات بسيطة كردّ فعل على أي قضية تمسّ حياة الأسير مثل: إغلاق

السجن، وإرجاع 3 وجبات، ووقف الفحص الأمني، ومقاطعة ضابط بعينه قد ارتكب مخالفة تجاه الأسرى أو أساء إلى أسير محدد.

وفي حال تمّ الاعتداء على الأسرى والتنكيل بهم، يتم اتخاذ القرار، إما بالضرب أو الطعن لضابط السجن، حيث يقوم ممثل الأسرى بإبلاغ إدارة السجون بهذا القرار، ومثال ذلك ما حصل في سجن نفحة، حيث شهد سجن نفحة في كانون الأول/ ديسمبر 2021، عملية طعن لأحد السجانين في مصلحة سجون الاحتلال، نفذها الأسير يوسف المبحوح رداً على تنكيل مصلحة السجون بالأسيرات في سجن الدامون والاعتداء عليهن، حينها قرر الأسرى إغلاق الأقسام، ورفض ما يسمى بالفحص الأمني، كجزء من خطوات العصيان والتمرد على قوانين إدارة السجون التي تشكل أبرز أدوات الأسرى النضالية، وقد تصل خطوات الأسرى النضالية إلى المواجهة المفتوحة بالإضراب عن الطعام، وهذه الخطوة مرهونة برد إدارة السجون على مطالبهم، وأبرزها وقف الإجراءات العقابية التي تفرضها إدارة السجون عليهم.[31]

يوسف المبحوح

إن قرار الإضراب المفتوح عن الطعام هو السلاح الأقوى والإمكانية الأكبر الذي يمتلكه الأسرى لمواجهة سياسة الاحتلال العنصرية وتحقيق مطالبهم العادلة، لذا تحتاج هذه الخطوة إلى موافقة الكل الاعتقالي وتصويت أغلب أعضاء الهيئة في المؤسسة الاعتقالية، مثال ذلك ما حصل في إضراب 2012/4/17، عندما بدأ 1,600 أسيرٍ فلسطينيٍ الإضراب عن الطعام، حينما امتنعوا عن تناول وجبات الطعام وأعادوها إلى إدارة السجون في خطوة

[31] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير أحمد سعادة، 2022/7/15.

أطلقوا عليها معركة الأمعاء الخاوية، وفضّل حينها الأسرى الجوع على الخضوع للسياسات التعسفية التي انتهجتها إدارة السجون ضدّهم، وبذلك أعلنوا بداية الإضراب المفتوح عن الطعام، إذ يُعدّ الأنجح من نوعه في سجون الاحتلال، حيث تتعدد مطالب الأسرى التي يخوضون لأجلها الإضراب؛ منها إنهاء سياسة الاعتقال الإداري والعزل الانفرادي، ووقف الاعتداءات والاقتحامات لغرف وأقسام الأسرى، ووقف منع زيارات ذويهم وغيرها. حيث يؤكد الباحث أنه في ظلّ الانتهاكات الجسيمة لا سبيل للأسرى إلا البدء بخطوات نضالية لاستعادة حقوقهم المسلوبة، وكان أبرزها الإضراب المفتوح عن الطعام إضافةً إلى بعض الوسائل الأخرى لانتزاع حريتهم، فالأسرى الفلسطينيون لا يخوضون إضراباً حباً به أو بالجوع، إنما للحفاظ على حقوقهم ووقف السياسة العدوانية التي تمارسها إدارة السجون بدعمٍ مطلق من حكومات الاحتلال اليمينية المتعاقبة.[32]

ومن القرارات أيضاً التي تحتاج إلى تصويت من أعضاء الهيئة بـ"قرار جماعي"، حرق القسم أو السجن أو الغرفة، وذلك احتجاجاً على دخول وحدة المتسادة، والاعتداء على الأسرى، أو بعد تركيب تشويش لمنع الأسرى من الحديث مع ذويهم عبر الهواتف المهربة، كما حصل في قسم 1 لسجن رامون سنة 2019، بالإضافة إلى إخراج أعداد من الأسرى إلى الزنازين للضغط على إدارة مصلحة السجون، فالزنازين تكون مليئةً بالنزلاء ولا يوجد بها متسع لوضع أعداد أخرى، وبالتالي تقوم إدارة السجون بمنع إخراج أي أسير إلى الزنازين.[33]

[32] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير مضر أبو دية، 2022/7/17.

[33] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير إبراهيم عطية، 2022/7/19.

وهناك العديد من الخطوات التي يقوم بها ممثل المعتقل للحدِّ من الإجراءات العقابية التي يقوم بها المحتل، من خلال الصلاحيات التي يمتلكها بدون الرجوع إلى التنظيم والهيئة، أو من خلال القرارات التي تأتي من خلال رئيس الهيئة وبالاتفاق مع أعضاء الهيئة جميعاً، ومنها:[34]

- تقديم رسائل من الأسرى كافةً احتجاجاً على قضية معينة.
- عدم الخروج من الغرف للفحص الأمني وهي عملية يومية روتينية؛ حيث تقوم إدارة السجون بإخراج الأسرى لفحص الغرف، ويسمح لأسير واحد فقط بالتواجد داخل الغرفة في أثناء هذه العملية.
- إغلاق أقسام السجون كافةً بشكل كامل لعدة أيام، ضمن الخطوات التصعيدية رفضاً للإجراءات العقابية.

- الاعتصام بساحة السجن "الفورة"، والدعاء، والهتاف، والتكبير بصوت مرتفع، والطرق على أبواب الغرف في السجون كافةً.
- عرقلة عملية عدّ الأسرى التي تقوم بها إدارة السجون 3 مرات يومياً، فمن الصعب أن تقوم بها الإدارة بدون تعاون الأسرى بالوقوف وعدم إيجاد فوضى.
- توقف ممثل الأسرى عن العمل، وبالتالي ستتعامل إدارة السجون مع كل أسير بشكل منفرد، وهذا يوجد أجواءً مشحونةً وحالةً من التوتر الذي يؤدي إلى تعبير كل أسير عن رفضه أو غضبه بطريقته الخاصة، والتي تصل إلى عمليات طعنٍ للسجانين، وغيرها من قبل الأسرى.
- رفع شكاوى إلى المحكمة، ومكتب الشكاوى، والشرطة، ضدّ إدارة السجون.
- إرجاع وجبات الطعام في جميع السجون والمعتقلات، وعدم استلام أي مواد غذائية من إدارة السجون.

[34] مقابلة أجراها الباحث مع الأسرى سعدي أبو حماد، ومحمود دودين، وعامر طنبور، 2022/7/12.

- عدم الالتزام في العدد، من خلال عرقلة الإجراءات اليومية التي يقوم بها السجانون.
- لبس الملابس الخاصة بالسجن، الشاباك (Shabak) Israel Security Agency—ISA، وهذا معناه الإعلان عن حالة توتر.
- حلّ التنظيم، وهي الخطوة التي توحِّد الأسرى لمجابهة عربدة إدارة السجون. وهو إعلان للاستنفار بمعنى أن يحل كل تنظيم، فصيل، في السجون نفسه، ويعلن عدم مسؤوليته أو تعامله مع إدارة السجن، وعليه يصبح كل أسير ممثلاً لنفسه، وعلى إدارة السجون أن تتعامل مع كل منهم ممثلاً لنفسه.

وهناك العديد من الخطوات التي ابتكرها الأسرى في مواجهة إدارة السجون، وتكون هذه الخطوات ضمن الأدوات التي يمارسها ممثل المعتقل، والتي يقوم من خلالها بإبلاغ إدارة السجن في حال كان هناك أي قرار للمواجهة بسبب الاعتداء والتنكيل.

إن الأسرى داخل سجون العدو لديهم أشكال مختلفة للمقاومة وخطوات احتجاجية رداً على انتهاكات وممارسات مصلحة السجون، تعتمد هذه الخطوات على تصنيفات معينة نظراً إلى خطورة ما يتعرضون له، فالانتهاكات اليومية البسيطة يرد الأسرى عليها بإرجاع وجبات الطعام ورفض الوقوف عند موعد عدِّهم اليومي، أما الانتهاكات الكبيرة كعزل الأسرى أو تصاعد الاعتقال الإداري فيكون الرد عليها بالإضراب عن الطعام، ولكن عندما يكون الانتهاك خطيراً ويتجاوز الخطوط الحمراء، وتريد الحركة الأسيرة إيصال رسائل احتجاج صارمة لإدارة السجون، يلجأ الأسرى لخيارات منها حلّ التنظيم، لجنة تمثل أسرى كل فصيل فلسطيني كأسرى حماس وأسرى فتح والجهاد وغيرها، وبعدها لا أحد يكون مسؤولاً عن أي أسير، وهذه الخطوة تسبب إرباكاً لإدارات السجون، وقد يدفع أي أسير للقيام بأي عمل، وهذا ما جرى في سجن جلبوع حينما رشق الأسير مالك حامد الماء الساخن على أحد

مالك حامد

السجانين، وفي حال تصاعدت الانتهاكات فإن حرق الغرف بما فيها يستفز إدارات السجون، وهو شكل من أشكال الاحتجاجات المتقدمة، والتي يلجأ إليه الأسرى إذا حدث تجاوز يتعلق بكرامتهم، كما حدث في بعض السجون عندما حاولت إدارة مصلحة السجون الانتقام من أسرى حركة الجهاد الإسلامي، وقامت بتقسيمهم فرادى على بقية غرف الأسرى، بعد أن نجحت مجموعة منهم بالهرب في عملية نفق الحرية في سجن جلبوع. ولكن بالرغم من تحديد العقوبات والتنكيل بالأسرى والإجراءات العقابية التي يقوم بها العدو إلا أنهم في النهاية يخضعون لمطالب الأسرى في سجون الاحتلال.[35]

وهذه الخطوات تأتي في سياق الدفاع عن النفس والمنجزات التي تحاول إدارة السجون سلبها من الأسرى، فإدارة السجون تلجأ دائماً إلى حرب استنزاف بحق الأسرى، فما إن يخرجوا من موضوع حتى يعودوا إلى آخر عبر طرح تحديات كبيرة أمام الأسرى.

سابعاً: عوامل القوة لدى الأسرى وممثلهم:

منذ بداية تشكيل التنظيمات داخل السجون في بداية السبعينيات متزامناً مع تشكيل الفصائل الفلسطينية خارج السجون، عمل الأسرى من هذه الفصائل على تشكيل هيئات تكون امتداداً للفصائل الأم في الخارج، وهو ما حوّل الأسرى من جماعة مشتتة إلى جيش منظم، إلى أن أصبحت هذه التنظيمات العمود الفقري للحركة الأسيرة في السجون. ومع زيادة أعداد الأسرى تبلورت هذه التنظيمات ووضعت لوائحاً داخليةً تناسب ظروف الحياة داخل السجن، حتى تمكن الأسرى من فرض هذه التنظيمات على الإدارة والاعتراف

[35] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير أحمد الدهيدي، والأسير إيهاب الشرفا، 2022/7/20.

بممثلين عنهم أمام الإدارة، فقد كان الأسرى يسعون من خلال تشكيل هذه التنظيمات لتكريس التعريف بهم على أنهم أسرى حرب، وتحويل السجن إلى ساحة نضال مع الاحتلال.[36] فقبل تشكيل التنظيمات كان من يقود السجون هم الأسرى الأعلى من حيث الرتب العسكرية وأحياناً الأقوى، فالصراع مع الإدارة كان في ذلك الوقت جسدياً وكانت إدارة السجون تتعامل مع كل أسير بشكل منفرد، ومع الوقت طوَّرت التنظيمات لوائح داخلية وهيكلية تنظيمية، وأصبحت تختار ممثليها عن طريق الانتخاب، ففي داخل القسم الواحد يكون ممثل لكل تنظيم، ومن بين الممثلين يتم انتخاب ممثل القسم ليكون جزءاً من الهيئات الاعتقالية العليا الممثلة لكل السجن لدى إدارة السجون، هذه التنظيمات لها أهميتها الكبرى في تشكيل وعي الحركة الأسيرة، ومواجهة مخططات الاحتلال في التعامل مع الأسرى على أنهم أسرى جنائيون وسلبهم صفتهم الدولية كأسرى حرب،[37] حيث استطاع كل فصيل من خلال هذه التنظيمات وقياداتها أن تحافظ على الروح الجهادية والوطنية من خلال هذه اللوائح التنظيمية، ووضع البرامج الثقافية والوطنية التي تتناسب مع أيديولوجيته، وينبثق عن هذه الهيئات مسؤولاً لكل غرفة في القسم يكون مسؤولاً عن تقسيم العمل داخلها، ولجان ثقافية وأمنية تحافظ على أمن المعتقل من اختراق جهاز استخبارات السجون. هذه التنظيمات قدمت للأسرى حياةً ثقافيةً واجتماعيةً منظمةً وشاملةً داخل السجون، وأمام هذه التنظيمات لم تجد إدارة مصلحة السجون سبيلاً سوى الانصياع لإدارة الأسرى والتعامل مع ممثليها، فكان بينهم اتفاق ضمني بتسهيل عملها اليومي في الأقسام مقابل امتيازات يحصل عليها الأسرى، مثال ذلك، خلال عملية عدّ الأسرى التي تقوم بها إدارة السجون من الصعب أن تقوم بها الإدارة بدون تعاون الأسرى بالوقوف والالتزام وغيره، ومقابل ذلك يتمكن الأسير من الخروج إلى ساحة السجن وممارسة الرياضة بدون عراقيل، كما أنه إزاء أي خلل في هذه العملية وغيرها يتم مراجعة ممثل القسم وليس الأسير

[36] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير ليلي أبو رجيلة، 2022/7/11.

[37] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير محمد زايد عمر، 2022/7/29.

نفسه، وهذا كله لا يأتي إلا من خلال تعاون الأسرى وممثلهم الذي يذلل العراقيل والصعوبات ويخفف من الإجراءات التعسفية والتنكيل تجاه الأسرى.[38]

فبعد عملية نفق الحرية، عملية الهروب من سجن جلبوع، في 2021/9/6، قامت إدارة مصلحة السجون باتخاذ سلسلة من الإجراءات العقابية بحق الأسرى عامة وأسرى الجهاد الإسلامي خاصةً، تمثلت بالتالي:

- تقليص أوقات التنزه للأسرى؛ والمقصود وقت بقاء الأسرى في الساحات "الفورة".
- وقف زيارات أهالي الأسرى.
- عمل تفتيشات شاملة لكل الأقسام.
- وقف حركة ممثلين الأسرى بين الأقسام.
- نقل الأسرى المعرفين بخطر الهروب، السماكاف، من غرفهم إلى غرف أخرى ومن سجونهم إلى سجون جديدة، وفرض قيود جديدة على هؤلاء الأسرى.
- نقل الأسرى المحكومين بالمؤبدات من غرفهم إلى غرف أخرى.

أما أسرى الجهاد الإسلامي، والذين كانوا هم الأكثر تضرراً من تلك العقوبات التي فرضت عليهم من قبل إدارة مصلحة السجون، والتي تمثلت بتوزيع أسرى الجهاد الإسلامي، بحيث يكون كل أسير من الجهاد الإسلامي يعيش في غرفة فصيل آخر، وعزلت قياداتهم وهيئتهم التنظيمية، وسحبت منهم قسم خاص بغرف أسرى الجهاد الإسلامي في سجن النقب ووضعتهم مع تنظيم آخر، وفرضت عليهم قيوداً أمنية مشددة، ومنعتهم من إلقاء خطب الجمعة ومن التجمع سواءً في الأقسام أم الغرف أم السجون.[39]

وأمام هذه الهجمة الشرسة من قبل إدارة مصلحة السجون كان لا بدّ من الأسرى وممثليهم أن يتخذوا سلسلةً من الخطوات النضالية الهادفة إلى حماية منجزات الحركة الأسيرة من جهة، والدفاع عن أسرى حركة الجهاد الإسلامي من جهة أخرى.

---

[38] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير محمود شريتح، 2022/7/25.

[39] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير محمد اغبارية، 2022/6/11.

وبدأت الحركة الأسيرة في تشكيل لجنة فصائلية عليا، تقود الخطوات كافةً أمام إدارة مصلحة السجون، لوقف تغولهم على الأسرى، والإعداد إلى إضراب مفتوح عن الطعام، والعمل على تحديد موعد الخوض به، إلا أن إدارة مصلحة السجون رضخت إلى مطالب الأسرى، وأوقفت هذه الهجمة الشرسة عليهم، وأوقفت الإجراءات كافةً تجاه جموع الأسرى عامةً وأسرى الجهاد الإسلامي خاصةً، وقامت بإرجاع الجهاد الإسلامي إلى غرفهم وإعادة ترتيبها مع قيادة حركة الجهاد، وعملت على إخراج قياداتهم من العزل، وغيرها من المطالب.

إلا أن الحركة الأسيرة أصرّت على خوضها بالإضراب المفتوح عن الطعام ما لم تحقق لهم إدارة السجون سلسلةً من المطالب والتي تلخصت بالتالي:

- تركيب هاتف عمومي عند الأسرى المرضى في سجن الرملة، وعند الأسيرات في سجن الدامون.
- تحسين شروط الهاتف العمومي من فتح الهاتف 3 مرات في الأسبوع إلى كامل الأسبوع، وزيادة 15 دقيقةً ليصبح معدل الحديث للأسير بدلاً من 45 دقيقةً 60 دقيقةً أسبوعياً.

- تحسين شروط الزيارات والمشتريات الخارجية.

وكانت النتيجة تلبية مطالب واحتياجات الأسرى، ووافقت على شروطهم.[40]

لذلك يُعدّ عامل وحدة الأسرى من أهم عوامل القوة، خصوصاً أمام إدارة السجون، فهذه الوحدة تجعل الأسرى كتلةً واحدةً منظمةً تقاتل السجان بشتى أنواع المواجهة لتحقيق مطالبها الإنسانية، والدعم والمساندة التي يكتسبها ممثل الأسرى من إخوانه لهو عامل أقوى يجعله يتحدث أمام ضباط إدارة مصلحة السجون بصوت واحد، وبدون أدنى تردد لأنه

[40] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير محمد الرمحي، والأسير محمود شريتح، 2022/6/24.

يعلم أن إخوانه داعمين وموافقين له بأي قرار يتخذه ويقوله أمام إدارة مصلحة السجون، وأن سهولة التواصل بين السجون من خلال الهواتف المهربة تجعل الأمر ميسراً من خلال توحيد الخطوات وتوحيد الكلمات، فالموقف الجماعي عند الأسرى يشكِّل علاقةً فارقةً بأي خطوة تصعيدية مع إدارة مصلحة السجون، إضافةً إلى الدعم السياسي الذي يتلقاه الأسرى سواءً من الفصائل الفلسطينية أم من خلال السلطة، والذي يجعل موقف الأسرى أكثر قوة.[41]

ملاحظة: من العوامل التي تؤثر على نجاح ممثل الأسرى بالتخفيف والحدِّ من هذه الإجراءات، هو نوع الحكومة الإسرائيلية التي تكون قائمةً؛ فإذا كانت يمينيةً متطرفةً سيتم اتخاذ قرارات صعبة تجاه الأسرى، وبالتالي نحتاج إلى مواجهة كبيرة لتغيير الظروف عند الأسرى، أما إذا كانت حكومة يسارية أو إذا كان وزير الأمن الداخلي يمثل الخط المعتدل، هذا يسهل على ممثل الأسرى تغيير قرارات الإدارة أو أي إجراء عقابي يكون قد صدر بحق الأسرى.

إضافةً إلى أن وجود أشخاص أصحاب تجربة وخبرة بجوار ممثل الأسرى يأخذ برأيهم وبأفكارهم، ويساعدوه على اتخاذ القرار الأنسب لأي خطوة تجاه إدارة مصلحة السجون، فإن هذا يسهم ويساعد في تطوير قدرات الممثل ويعطيه نوع من الأمان والثقة والقدرة على حلّ أي مشكلة قد تواجهه مهما كبرت.

علاقة ممثل الأسرى ببقية الفصائل أيضاً يُعدّ عامل قوة كبير له، حيث يستطيع أن يؤثر في الفصائل وقراراتهم من أجل اتخاذ خطوة جماعية تجاه إدارة السجن، فعندما تكون

[41] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير أكرم القواسمي، 2022/7/10.

الفصائل مجتمعة على كلمة رجل واحد، هذا يعطي بحدِّ ذاته امتياز جديد لممثل الأسرى وعامل من عوامل القوة.

ثامناً: أدوات الأسرى النضالية في الحدِّ من إجراءات إدارة السجون التعسفية:

استطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة على الرغم من قلة إمكانياتها المادية، وعبر نضالاتٍ مستمرة تُوجت بعدد كبير من الشهداء، وعبر خطواتٍ نضالية حكيمة ومنسجمة مع الواقع والمتطلبات، تارةً بالخطوات التكتيكية وأخرى بالاستراتيجية، وبالوسائل السلمية والحرب النفسية والعنيفة، وبالحوارات والإضرابات وغيرها، أن تحقق إنجازات كبيرة.

في هذا العنوان سنتطرق إلى الوسائل النضالية التي استخدمها الأسرى للنهوض بواقعهم، وفي مجابهة السياسات الإسرائيلية بالأدوات النضالية الناعمة والتكتيكية والاستراتيجية.

أدوات الأسرى النضالية في مواجهة إدارة مصلحة السجون:

من خلال معايشة الباحث وعمله كممثل للأسرى، وإجراء العديد من المقابلات مع أسرى داخل سجون الاحتلال، قسّم الباحث أدوات ووسائل الأسرى النضالية إلى ثلاث أدوات، وهي كالتالي:

◄ أ. الخطوات الناعمة:

ويُقصد بها الوسائل والخطوات التي يقوم بها الأسرى كردة فعل على أي عمل أو إجراء تعسفي من قبل إدارة مصلحة السجون مثل: تأخير خروج الأسرى لساحة السجن، أو عدم إدخال ملابس للأسرى، والإهمال الطبي بحق أي أسير والتأخير المتعمد في علاجه، بحيث تكون الخطوات الناعمة موجهة لإدارة السجن من أجل إشعار إدارة السجن أن ما قامت به هو أمر خطير سيترتب عليه الضرر في مصلحة وحقوق الأسرى، بحيث تكون

هـذه الخطـوات بمثابـة الإنـذار لخطـوات أكـبر وأكثـر موجهـة تجـاه إدارة السـجن. ومـن هـذه الوسائل أو الأدوات الناعمة التي يقوم بها الأسرى ما يلي:[42]

المراسلات والحوارات:

في أعقـاب اعـتراف إدارة مصـلحة السـجون الإسـرائيلية بالتمثيـل الاعتقـالي، والتعـاطي مـع ممثلـي الفصـائل، واللجنـة الوطنيـة العامـة الـتي تنـاقش أوضـاع الأسـرى وتبلـور القـرارات بالتراضـي أو بالأغلبيـة وفـق سياسـة متعـارف عليهـا في كـل معتقـل، ومـع لجنـة الحـوار الـتي تجتمـع بإدارة السـجن لمناقشـة مطالـب الأسـرى والأوضـاع بشـكل عـام، ومـع كبـار رجـالات إدارة مصـلحة السـجون الـتي تأتي مـن خـارج السـجن، أصـبحت وسـيلة النضـال الأولى للتفـاهم هـي تقـديم الطلبـات والمراسـلات، والحـوار المباشـر عـن طريـق ممثـل المعتقـل كحلقـة وصـل بـين الأسـرى الـذين يمـثلهم، أو عـبر منـدوبي الفصـائل وموجِّـه القسـم في القضـايا الميدانيـة الداخليـة، وهـذه الوسيلة تقطع الحجة لدى إدارة مصلحة السجون قبل الدخول بأي خطوة نضالية.

إرجاع وجبات الطعام:

في حـال تجاهـل مطالـب الأسـرى في أي قضـية ملحـة، أو التسـويف والمماطلـة في الـردود عليهـا، تبـدأ اللجنـة الوطنيـة العامـة ببلـورة خطـوات نضـالية تكتيكيـة بإرجـاع بعـض وجبـات الطعـام قـد تصـل ليـوم كامـل، وهـذه الخطـوة بمثابـة رسـالة احتجاجيـة وتحذيريـة في الوقـت نفسـه بإمكانيـة تصـعيد الأوضـاع وترشـيحها للانفجـار فيمـا لـو لم تتحقـق مطالب الأسرى.

[42] حلمي عنقاوي، **المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان** (رام الله: مطبعة الغد، 1995)، ص 241.

مقاطعة رجالات إدارة مصلحة السجون:

كثيراً ما يمارس بعض السجانين بحق الأسرى ممارسات عنيفة بقصد الإهانة وقت التفتيشات، أو انتقامية وقت المواجهات والقمعات، أو غير مقبولة مع الأهالي وقت الزيارات، مما يضطر الأسرى بتبليغ إدارة السجون بمقاطعة ذلك السجان، ويطالبونها بعدم دخوله للأقسام، مبلّغين بعدم المسؤولية عن أي خطر يتهدده، وغالباً ما كان هذا الأسلوب مجدياً وفاعلاً يؤدي إلى تأديب أولئك السجانين الذين كانوا يتعرضون لضغوط نفسية شديدة في أثناء فترة مقاطعتهم، وكثيراً ما جاء بعض هؤلاء إلى المعتقلين راجياً فكّ المقاطعة الاجتماعية عنهم، تخوفاً من تطور المقاطعة لتصل للإيذاء الجسدي وتهديد الحياة بحقهم.

مقاطعة العيادة:

عشرات الشهداء في السجون كانوا ضحية الإهمال الطبي، وتأجيل العمليات الجراحية الضرورية، وعدم القيام بالفحوصات المخبرية، وتجريب الأدوية على السجون، وعدم توفير العلاجات المناسبة والاكتفاء بحبة الأكامول السحرية، ونتيجة لهذا الواقع أضرب الأسرى وخصوصاً المرضى منهم عن تسلم الأدوية من الممرض، أو النزول للعيادة، أو مراجعة ما يسمى بمشفى سجن مراج – الرملة، وكثيراً ما أجدى هذا اللون من الإضرابات لسببين؛ الأول: أن مقاطعة ذوي الأمراض المزمنة للعيادة قد يودي بحياتهم، وهذا مرتبط بالسبب الثاني: وهو تخوفات السجان من عواقب المقاطعة وتداعياتها التي قد تودي بحياة الأسرى، والتي تحرّك الرأي العام

والمؤسسات القومية بالدولة، لمعرفة ما يحدث من إجراءات تعسفية في السجون الإسرائيلية إعلامياً وقانونياً لو حصل مكروه لأي أسير نتيجة هذه الخطوة.[43]

◄ ب. الخطوات التكتيكية:

تُعدّ هذه الخطوات هي المرحلة الثانية من الخطوات التصعيدية التي يستخدمها الأسرى في مواجهتهم لإدارة مصلحة السجون، وتكون هذه الخطوات أكثر احتجاجية وتحذيرية من الخطوات الناعمة، وفيها نوع من تحميل الإدارة مسؤولية إلى ما ستؤول إليه الأمور داخل السجون، وإمكانية تصعيد الأوضاع وترشيحها للانفجار، ومن هذه الخطوات:[44]

- إيقاف عمل ممثل الأسرى أمام إدارة السجن.
- عدم الخروج لساحات السجن، الفورة، إضافة إلى الاعتصام بالفورة.
- رفع وتيرة التهديد بالاعتداء على الشرطة.
- إبقاء النفايات في الساحات.
- رفض الوقوف على العدد.
- الطرق والتكبير على الأبواب.
- الإضراب عن زيارات الأهل.
- عدم استقبال الكنتينا، ويمكن ابتكار خطوات تكتيكية ميدانية من خلال التشاور والتنسيق مع الأقسام والسجون كافةً لجميع الفصائل.

◄ ج. الخطوات الاستراتيجية:

يلجأ الأسرى في سجون الاحتلال إلى استخدام الخطوات الاستراتيجية عندما تستنفذ الخطوات النضالية كافةً سواء الناعمة أم التكتيكية، فتكون هذه الخطوات هي السلاح المتبقي للأسرى للدفاع عن حقوقهم وعن مكتسباتهم التي انتزعوها بالجوع والدم وثبّتوا حقهم بالقوة، لذلك تشكل الخطوات الاستراتيجية انتفاضةً كبيرةً بين إدارة السجون

---

[43] حلمي عنقاوي، **المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان**.

[44] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير محمد معلا، 2022/7/19.

والأسرى، وحالة ردع حقيقية عند الاحتلال والسجان، فعندما يعلن الأسرى أنهم مستعدون للذهاب إلى خطوات استراتيجية، تبدأ إدارة مصلحة السجون بالتحرك لمنع تلك الخطوات.[45] إن الخطوات الاستراتيجية داخل قلاع الأسرى تُعدّ إعلان حالة التمرد والاستنفار على السجن والسجان، لهذا تعمل إدارة مصلحة السجون جاهدة على عدم ذهاب الأسرى إلى تلك الخطوات. ومن أشكال الخطوات الاستراتيجية:[46]

- **الإضراب المفتوح عن الطعام**: هو امتناع المعتقل عن تناول أصناف وأشكال المواد الغذائية الموجودة في متناول الأسرى كافةً باستثناء الماء وقليل من الملح، وهي خطوة تُعدّ الأخطر والأقسى على المعتقلين، لما يترتب عليه من مخاطر جسيمة "جسدية ونفسية" وصلت في بعض الأحيان إلى استشهاد عدد منهم، ويُعدّ الإضراب المفتوح عن الطعام السلاح الأقوى للأسرى الفلسطينيين في مواجهة تعنّت سلطات الاحتلال لنيل مطالبهم وحقوقهم العادلة، وهو الخيار الأخير غير المفضل لدى الأسرى، وتلجأ إليه الحركة الأسيرة بعد استنفاذ الخطوات النضالية التكتيكية كافةً، مثال ذلك إضراب الحرية والكرامة في 2017/4/17؛ لاستعادة العديد من حقوقهم التي سلبتها إدارة سجون الاحتلال، وإضراب الأسرى في 2019/4/8؛ عندما شرع قرابة 150 أسيراً فلسطينياً بإضراب مفتوح عن الطعام والماء في سجنيْ ريمون والنقب، وسميت بمعركة الكرامة 2؛ للمطالبة بإزالة أجهزة التشويش، وإعادة زيارات أهالي أسرى قطاع غزة، وإنهاء عزل الأسرى المعاقبين إثر الأحداث التي حصلت في سجن النقب، ووقف عمليات الاقتحام والتنكيل والإهمال الطبي بحقهم، وغيرها من الإضرابات.[47]

---

[45] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير إبراهيم حلبية، 2022/7/16.

[46] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير أشرف أبو الرب، 2022/7/19.

[47] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير رائد أبو حمدية، 2022/6/25.

حـرق الغـرف والأقسـام: يُقـدم الأسـرى في سـجون الاحـتلال علـى حـرق غـرف زنازيـنهم، في خطـوة مـا بـين إجـراءات أخـرى قاسـية يلجـأون إليهـا لمواجهـة التنكيـل الـذي يتعرضـون لـه مـن إدارة مصـلحة السـجون، فحـرق الغـرف جـزء مـن أدوات المواجهـة الـتي يمتلكهـا الأسـرى لمواجهـة أي عمليـات ردع، وهـي الشـيء الأصـعب لأنهـا تعـني المواجهـة الميدانيـة مـع السـجانين، وحـرق لمقتنيـات الأسـرى كافـةً بمـا فيهـا مـن حاجـات أساسـية وذكـريات، ومثـال ذلـك: مـا حصـل في سـجن النقـب واشـتعال النـيران في قسـم 6 رفضـاً لعمليـات التنكيـل والتهديـد والتصـعيد الـتي تنفـذها إدارة السـجون بحقهـم، وحـرق غرفـة في قسـم 7 بسـجن رامـون رداً علـى القمـع والحمـلات المسعورة التي تقوم بها إدارة مصلحة السجون.[48]

حـلّ الهيئـات التنظيميـة: تعـني أن كـل تنظـيم في سـجون الاحـتلال يقـوم بحـل نفسـه وإعـلان عـدم مسـؤوليته، أو تعاملـه مـع إدارة سـجون الاحـتلال، بحيـث تصـبح إدارة السـجون مجـبرة علـى التعامـل مـع الأسـرى كـأفراد ولـيس كتنظيمـات، وتلـزم إدارة السـجون بتوزيـع الطعـام علـى الأسـرى بشـكل منفـرد وإخـراج النفـايات مـن الأقسـام، كـذلك رفـع حالـة التأهـب والحـذر لـدى إدارة السـجون، ففـي هـذه الحالـة تسـتنفر إدارة السـجون وتحـيط المعـتقلات بأعـداد كبـيرة مـن قـوات الجـيش لأي طـارئ قـد يحـدث. تُعـدُّ هـذه الخطـوة مرهقـةً جـداً للاحـتلال، وترفـع حالـة التأهـب والحـذر لـدى إدارة سـجون الاحـتلال، كمـا تـدفع خطـوة "حـل التنظـيم" بأن تصـبح إدارة السـجون ملزمـةً بتوزيـع الطعـام علـى الأسـرى بشـكل منفـرد "غرفـة غرفـة، وأسـير أسـير"، وكـذلك تصـبح مضـطرةً لجمـع القمامـة مـن الغـرف وإخراجهـا مـن الأقسـام، وإدارة السـجون

[48] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير أنور العصا، 2022/6/22.

تصبح مجبرةً على متابعة المحاكم، وإخراج الأسرى، وإبلاغهم بموعد المحاكمة، والإخراج للطبيب، وتسجيل دور الأسرى، وبقية التفاصيل التي تعني المسؤولية المباشرة على الأسرى بدلاً من تعاملها السابق مع ممثل التنظيم، وتُعدّ خطوة حلّ التنظيم فكرةً ذكيةً من قبل الحركة الأسيرة عندما تنعدم وسائل الحوار وتتعنت إدارة السجون في الاستجابة لمطالبهم، حيث تعمل على إرباك الإدارة في التعامل مع الأسرى وتكلفها مسؤوليةً إضافيةً مرهقةً، أما فيما يتعلق بخطوات الحل فالأسرى يرفضون التفاوض مع الإدارة مبدئياً كونه لا يوجد تنظيم إلا إذا قدمت معطيات جديدة وتعهدت بالاستجابة لمطالبهم.[49]

◁ **عمليات الطعن وسكب الماء أو الزيت الساخن:** لا يقتصر نضال الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي على الإضراب عن الطعام والخطوات الجماعية التي يتخذونها عادةً للرد على تصاعد الانتهاكات بحقهم، والعقوبات التي تفرض ضدّهم، بل يشمل أشكالاً مختلفةً من النضال، من بينها عمليات الطعن، حيث تستهدف السجانين الأكثر قسوةً والأشد فتكاً بالأسرى. فعندما يتم حلّ التنظيم ويتم إعلان الاستنفار، يقوم كل فصيل أو تنظيم بإعلان عدم مسؤوليته أو تعامله مع إدارة السجون، وعليه يصبح كل أسير ممثلاً لنفسه، وهذا يعني بأن كل شيء يصبح متاحاً بعدها، ويترتب عليه عدم تحمل التنظيمات للمسؤولية عن أي حدث أو اعتداء على السجانين رداً على التنكيل بالأسرى أو الأسيرات، ومثال ذلك: ما فعله الأسير مالك حامد، المحكوم مدى الحياة، بسكب الماء الساخن على أحد السجانين رداً على عمليات القمع والتنكيل التي يمارسها السجانون بحق الأسرى في قسم 3 منذ الإعلان عن انتزاع ستة أسرى حريتهم من سجن جلبوع، وقام بسكب الماء الساخن أيضاً على السجانين انتقاماً لاستشهاد الأسير فارس بارود. وكذلك قيام الأسير يوسف المبحوح بعملية طعن ضابط صهيوني رداً على التصعيد والتنكيل بحق الأسيرات. والأسيران إسلام وشاحي وعدي سالم قاما بطعن ضابط

[49] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير سعيد ذياب، 2022/6/30.

وسجان في مصلحة السجون في قسم 3 في سجن النقب جراء مواصلة سياسة نقل الأسرى وقمعهم، وغيرهم كثير.[50]

وفي هذا المقام يروي الباحث ما حصل معه في سنة 2017، حينما قامت قوات القمع الصهيونية بعملية تفتيش على قسم 1 في سجن نفحة، ودخلوا على أحد الأسرى وهو يستحم وقاموا بإخراجه عارياً إلى الغرفة، عندها كان لا بدّ من وجود رداً على هذا الاعتداء الذي مسّ كرامة الأسرى، وعندها قرر الأسرى الرد على هذا الاعتداء من خلال عملية طعن لأحد الضباط، وتمّ التشاور في ذلك مع الهيئات التنظيمية، حينها كان الباحث ممثلاً لأسرى حركة حماس أمام إدارة مصلحة السجون، وممثلاً لأسرى سجن أوهلي كيدار Kedar Ohalei، وعندما وصله القرار طلب مكالمةً هاتفيةً مع مسؤول استخبارات السجون، وأبلغه أن الاعتداء الذي حصل مع أحد الأسرى في سجن نفحة لن يمضي سدى، واستدعى الباحث مدير السجن وأبلغه بأن الرد سيكون قريباً، وبعد 40 دقيقةً من إبلاغه له قام أحد الأسرى في سجن نفحة بعملية طعن لأحد السجانين، عندها "أبلغنا إدارة السجون أننا لم نغدر ولم نكذب وحذرناكم كثيراً"، فقامت إدارة سجن نفحة بالاعتداء على الأسرى، وخرجت أصوات مناشدة لكل المواقع لنصرة إخوانهم في سجن نفحة، فكان الرد الثاني وهو قيام أحد الأسرى بعملية طعن في سجن النقب لتصبح ساحة سجن النقب معركةً حقيقيةً تستخدم فيها قوات إدارة مصلحة السجون كل معداتها لتعتدي على الأسرى بصورة وحشية لم يشهد لها

[50] مقابلة أجراها الباحث مع الأسير بلال برغوثي، 2022/7/30.

مثيل، فضربوا وكسروا أيدي الأسرى، وقاموا برشهم بالغاز، وقيدوا الأسرى لساعات طويلة وتركوهم في ساحة سجن النقب دون علاج أو طعام أو شراب.

وعلى الفور، بدأت إدارة مصلحة السجون بسلسلة من الإجراءات لمنع سلسلة من الطعن قد تحصل في بقية السجون، أولها عزل رئيس الهيئة ونائبه، وتفريغ قسميْن من الخيام لأسرى حماس في سجن النقب، والبدء بالتواصل والحوار مع هيئة حركة حماس، حيث كانت الجلسة الأولى مع مسؤول الاستخبارات في السجون يوفال بيتون Yuval Bitton في سجن أوهلي كيدار وكان مصراً على إجراءاته بعزل رئيس الهيئة ونائبه وعدم إعادة أقسام حماس في سجن النقب "الخيام"، إلا أن الجلسة باءت بالفشل، وبعد ساعتين من الجلسة الأولى عاد مدير الاستخبارات للمناقشة والحوار مرةً ثانيةً "إلا أننا اشترطنا أولاً بإرجاع رئيس الهيئة ونائبه"، وتمّت الموافقة بشرط عدم إدخالهم إلى القسم وإبقائهم في قسم المعبار أوهلي كيدار، فوافق الباحث على ذلك. وفي اليوم الثاني، حضر رئيس الهيئة محمد عرمان ونائبه عبد الناصر عيسى إلى معبار أوهلي كيدار وقد قابلهم الباحث مع مجموعة من الأسرى، وهم بلال برغوثي وجمال الهور، وبدأ الحوار مع إدارة مصلحة السجون، حيث حاولت إدارة مصلحة السجون أن تضغط بأن لا تعيد لأسرى النقب أقسام الخيام، ولكن أصرّت المجموعة على شروطها، وبالفعل وبعد ساعات قامت إدارة السجن بقبول الشروط.

من خلال ما سبق، نرى أنه في كل مرحلة وفي كل اعتداء أو انتهاك لحقوق الأسرى توجد خطوات "ناعمة، وتكتيكية، واستراتيجية"، تتناسب مع كل حدث.

النتائج:

- الناظر إلى واقع الأسرى في سجون الاحتلال يرى أن سلاحهم لمواجهة ظلم وجبروت المحتل وغطرسته هو إرادتهم الصلبة وإيمانهم بعدالة قضيتهم، وأنهم أمام محتل يجب مواجهته والتصدي له بكل ما لديهم من وسائل نضالية وعزيمة صلبة.

- وحدة الحركة الأسيرة وتشكيل لجنة الطوارئ العليا من كافة الفصائل والقوة الوطنية والإسلامية في داخل السجون، والتعبئة داخل السجون، وإعداد برنامج سمي "برنامج التمرد والعصيان" على قوانين السجن، وإعاقة عمل إدارة السجون وتشتيت تفكيرها واستنزاف قواها، كانت أهم أسباب انتصار الأسرى في معركتهم ضدّ السجان.
- أبدع الأسرى الفلسطينيون في استخدام الوسائل النضالية بأشكالها لمواجهة السجان وتحصيل حقوقهم، من خلال التدرج في التعامل مع السجان؛ من خلال استخدام الخطوات الناعمة ومن ثم الخطوات التكتيكية وأخيراً الاستراتيجية والعنيفة.
- ابتكر الأسرى العديد من الخطوات لمواجهة إدارة السجون، بحيث تكون هذه الخطوات ضمن الأدوات التي يمارسها ممثل المعتقل، والتي يقوم من خلالها بإبلاغ إدارة السجن في حال كان هناك أي قرار للمواجهة بسبب الاعتداء والتنكيل.

التوصيات:

- العمل على دعم وسائل الأسرى النضالية؛ إضرابات الأسرى، وحلّ التنظيم، من خلال سياسات عدة تتضمن تأسيس حملات ضغط ومناصرة محلية ودولية، وتوثيق هذه الانتهاكات، وتشكيل لجان قانونية تقوم باتخاذ الإجراءات اللازمة لعرض التقارير المتعلقة بالأسرى الفلسطينيين على الأجهزة الدولية المعنية.
- وحدة الأسرى داخل السجون واحد من أسباب عوامل النصر، لذلك توصي الدراسة بتوحيد الموقف الفلسطيني خارج السجون وداخله، وضرورة التحام الشعب الفلسطيني في كل مستوياته مع الأسرى.

- الخطوات النضالية التي يقوم بها الأسرى بحاجة إلى إسناد خارجي، لذلك يجب أن يتم التحرك على إثرها بقوة لإسنادهم حتى لا تكون خطواتهم ضعيفة، فالأسرى دائماً يراهنون على أهلهم وشعبهم ومقاومتهم والأحرار في العالم، وهذا الأمر بحاجة إلى حراك رسمي وفصائلي وإعلامي لتسليط الضوء على قضيتهم.
- ضرورة تعزيز دور ممثل الأسرى للنجاح في دوره والوصول إلى هدفه في التخفيف عن الأسرى.

The Role of Detainees' Representative in Limiting Arbitrary Action by the Occupation Prison Service Against the Detainees in Occupation Prisons

Abstract

The study aims to identify the role of the detainees' representative in limiting the arbitrary procedures of the Prison Service towards the detainees. The researcher saw that the analytical descriptive approach was most fit for this study, while interviews were his main tool.

The study concludes that the solid will of the prisoners and their strong belief in the justice of their cause are their weapon to confront injustice. The most important reasons of their victory against the prison wardens are the unity of the captive movement; the formation of the Supreme Emergency Committee of Palestinian Prisoners' Affairs by all factions and national and Islamic forces inside the prisons; impeding the work of the Prison Service; using the means of struggle gradually when dealing with prison wardens, i.e., starting with soft steps, then tactical ones, and finally strategic and violent action. The study stresses the importance of the role of the prisoners' representative in communicating with the Prison Service and limiting its arbitrary procedures against prisoners.

The study recommends several policies that would support the prisoners' means of struggle, including establishing local and international advocacy campaigns; documenting violations; and forming legal committees that would present reports of the conditions of Palestinian prisoners to the concerned international bodies. It also recommends the unification of the Palestinian position and support outside and inside the prisons, at all levels, while seeing that there is a need to strengthen the role of the prisoners' representative in a way that would help him making conditions easier on the prisoners.